السيد رامس شندرا والسيدة اديث بلتاين

رئيس وسكرتيرة اللجنة الخاصة بالعنصرية والتمييز العنصري وإنهاء الاستعمار

هيئة الأمم المتحدة – جنيف

تحية...

كان اجتماع أول ديسمبر ذو طابع خاص بحضور السيد احمد بن بلا , حيث استفاد المجتمعون بآرائه وتجاربه الواسعة فيما يتعلق بالعنصرية والتمييز العنصري , وإكراما لضيفنا الهام قرر المجتمعون التحدث باللغة الفرنسية الأمر الذي جعل متابعتي للنقاش صعبة وغير مثمرة . وقد ساءني عدم تمكني من حضور الجلسة المقبلة المقررة في ١٢\١٦ لمتابعة هذا النقاش الهام وذلك لتواجدي في هذا التاريخ بالولايات المتحدة , لذا رأيت أن أرسل هذه الرسالة متضمنة بعض الآراء قد تجدون فيها ما يمكن عرضه على المجتمعين في اجتماعكم القادم .

إن أول ما يتبادر الى الذهن فيما يتعلق بالعنصرية والتمييز العنصري هو أنها ظاهرة رافقت المجتمع البشري منذ فجر التاريخ وترتبت عنها كثيرا من المآسي والفواجع لعل أقربها إلى الذهن محاولة إفناء الهنود الحمر عندما اكتشف الأوروبيون البيض قارة أمريكا . ويبدو أن هذه الظاهرة قديمة قدم الإنسان نفسه حتى أن بعض الأساطير الدينية الواردة في الكتب المقدسة تحدثت عنها وجعلتها أساس الشر في هذا الكون < فالشيطان > هو أول من قال < أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين > وكان ذلك السبب في خروج آدم من الجنة كما جاء في الأسطورة الدينية .

ومع ذلك فالذي يبدو الآن أن حركة التاريخ تحدثنا بوضوح أن هذه الظاهرة في اصلها العرقي أو الديني او اللوني قد بدأت تنحسر شيئا فشيئا من العالم وبدا يحل محلها التمييز على أساس الغنى والفقر والشعوب المرفهة والمسحوقة , المتقدمة والمتخلفة . فالشعوب الغنية المرفهة التي تقدمت حضاريا وسيطرت على مصيرها عن طريق العلم والمعرفة والتكنولوجيا الحديثة نراها بصفة عامة تنظر بازدراء أو على الأقل باستعلاء الى الشعوب التي تعثرت خطواتها في هذا السبيل , والذي زاد الأمر سوءا هو أن هذه الشعوب المتقدمة صارت تستغل الظروف السيئة التي تعانيها الشعوب الأقل تقدما وبطرق غامضة ومعقدة حالت وتحول بينها وبين فرص التقدم واللحاق بركب الحضارة , وقد أدى كل ذلك في النهاية الى ظاهرة عدم التوازن في الأوضاع العالمية نشاهدها بوضوح في المقارنة بين الغرب والشرق والشمال والجنوب , حيث الظلم وعدم العدالة ظاهر واضح لا يحتاج الى دليل ,فالإحصائيات تحدثنا أن ثلثي دخل العالم يذهب إلى ثلث سكان العالم بينما ثلث الدخل العالمي الباقي يذهب الى ثلثي سكان العالم النامي . وحيث أن العالم قد اصبح صغيرا يمكن متابعة ما يجري في جميع أرجائه بسبب المواصلات الحديثة فان الشعور بالظلم وعدم العدالة قد صار طاغيا وملحا لدى الشعوب النامية الأمر الذي ذهب ببعض جماعاتها الى هجرة مجنونة الى العالم المتقدم ودفع ببعض الجماعات الأخرى الى ثورة نفسية عارمة قد ظهرت آثارها الخطيرة في العنف والإرهاب الذي كانت ضحاياه دائما من الأبرياء غير المسئولين عن هذه الأوضاع الظالمة .

بعد هذه المقدمة القصيرة والتي اعترف أنها تحتاج الى شروح مطولة فان اغلب الظن عندي أن مكافحة التمييز يجب أن يتم عن طريق مكافحة أصوله الجوهرية في الفقر والغنا والجهل والمعرفة .

وعليه فيجب علينا في المؤتمر القادم المزمع عقده في اواخر هذا القرن توجيه جميع المجهودات في معالجة التمييز في أصوله الجوهرية وهي ظاهرة التقدم والتخلف , بدلا من محاولة المعالجة على أساس ظواهره الجانبية في العرق أو الدين أو اللون , ذالك أن المعالجة على الطريقة التقليدية سوف لا تخرج عن نصائح وإرشادات بعض المثاليين

في المجتمع البشري سوف لن تزول بصفة حاسمة في الطبيعة البشرية وليس من السهل ان توضع له البرامج الفعالة المثمرة , ولكن المعالجة عن طريق إزالة التخلف الذي بزواله يزول التمايز والتمييز فهذا من الممكن ان توضع له البرامج القصيرة والطويلة الأمد إذا أدركت قيادات العالم المتقدم مصلحة شعوبها الحقيقية وصدقت نيتها في خدمة هذه المصلحة في مداها الطويل .

إن الكبار الأقوياء الذين وصلوا إلى التقدم بالعلم والمعرفة يجب عليهم أن يساعدوا إخوانهم في الإنسانية في الوصول إلى نفس المستوى إذا أردنا حقا القضاء على التمييز وما يترتب عنه . إن فكرة حجب التكنولوجيا والعلوم الحديثة عن الشعوب النامية هي اخطر دعوى تواجه العالم وتهدده بأوخم العواقب وسيحصد أشواكها العالم الغربي نفسه في المدى الطويل .

إن إزالة التخلف وبالتالي التمييز لا يمكن أن يتم بالكلمات الطيبة أو بهذه المساعدات المظهرية الإعلامية , إن ما يحتاجه العالم النامي ليس طعاما يأكله الأقوياء منهم او سلاحا يسلطه الطغاة على ضعفائهم . ان ما يحتاجه العالم النامي هو الوسيلة الى النمو والتقدم وهذا لا يمكن الوصول اليه وتحقيقه الا بالعلم وبالعلم فقط .

وعليه فان المساعدات التي تقدمها الدول المتقدمة الى الشعوب النامية والتي يجب أن تضاعف أضعافا مضاعفة يتحتم الا تصرف بناء على قوانين دولية إلا في إنشاء المدارس والمؤسسات العلمية والجامعات , وهذا هو الطريق لإزالة التخلف وبالتالي إزالة كل تمييز .

إن قيادات العالم المتقدم يجب أن تدرك أن ما تقوم به في سبيل إزالة التخلف في العالم وبالتالي إزالة التمييز علاوة على انه في صالح شعوبها في المدا الطويل , فانه ليس منة أو تفضلا , بل في الواقع أداء دين سابق للشعوب النامية . ذلك ان ما تتمتع به الشعوب المتقدمة في العالم الغربي الآن هو نتيجة مجهودات جبارة وخطوات طويلة حثيثة رائعة قامت بها الشعوب النامية سابقا في الحضارات القديمة في الهند والصين وفارس وشمال أفريقيا وشمال الجزيرة العربية من كالدانيين وآشوريين وبابليين وفينيقيين وسومايين وفراعنة ... وكما قال المؤرخ الأمريكي العظيم ويل ديورنت في كتابه القيم < قصة الحضارة > : - إن العالم الغربي يخطئ خطئا فاحشا إذا اعتقد أن ما يتمتع به اليوم من رفاهية هي نتيجة الحضارة اليونانية والرومانية ذلك إن هتين الحضارتين هما عبارة عن تلميذ بسيط لحضارة الشرق .

أرجو ألا أكون قد أطلت عليكم , مع تمنياتي لاجتماعكم المقبل بالتوفيق والسداد .

عبد الله شرف الدين

رئيس المنظمة الدولية لمناهضة جميع أنواع التمييز العنصري < ايفورد >

جنيف ١٩٩٧\١٢\٤